لعب الطاولة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ليس لى شغف بالألعاب ، فان حياتى كلها لعب ؛ فما حاجتى إلى لعبة معينة على الخصوص. ولكن لى إخواناً ألقاهم فى حيث ألفوا أن يكونوا — أى فى القهوات — وليس من العدل أن أكرههم على أن يلقونى فى حيث أحب أنا وأوثر . ولأن ينتقل واحد الى جمع أيسر من أن ينتقل جمع إلى واحد . ولست أعرف عملا لرواد القهوات إلا أن ينظروا الى المارة وهم مقبلون ومدبرون فاذا اتفق أن كانت الصفوف الأمامية مزدحمة ولا محل لطالب الجلوس إلا فى الداخل ، فاذا يمكن أن يكون عمله إلا قراءة الصحف — اذا كان وحده — أو تدخين « الشيشة » — أو كما تسمى أيضا « الأرجيلة » و « النرجيلة » — ولعب الطاولة أو الشطرنج أو « الدومينو » فأما الشطرنج فيحتاج الى عقل يكده اللاعب ، وهو لم يجىء إلى القهوة ليتعب بل ليتسلى . وأما « الدومينو » فآفتها الحساب ، فلم يبق إلا الطاولة يفتحها الصديقان ويقبلان عليها ليخرجا بها من الصمت الثقيل ، وليختصرا الوقت الذى يريانه أطول من أن يحتمل وإن كانت شكواهما — كغيرهما — أن العمر فى هذه الدنيا قصير ، أو ليتقيا الحديث فى أمر نافع أو جدى .

ولم أجد إلى الآن لاعباً للطاولة أستريح إلى منازلته ، وأفيد متعة من ملاعبته ، فهذا واحد لا يحلو له أن يروى لك قصة حياته إلا وهو يلعب ! وتكون قد حمست وكبر أملك فى الفوز ، فتضطر أن تضطجع وتصغى ، أى أن تدع حماستك تفتر ودمك يبرد . وليته مع ذلك يقص حكايته ويفرغ منها فان البلاء أنه يقطع الحديث ويقول لك : « دورى يا سيدى . شيش بيش .. خذ » ويلقى إليك حجراً « مضروبا » أو يضعه لك فى كفك تأكيداً لاغتباطه بسوء حظك . فتتمنى لو وسعك أن تقذف بالحجر . . فلا أنت سمعت القصة ، ولا أنت مضيت فى اللعب بالروح التى كانت مستولية عليك . وليس هذا لعباً وإنما هو . . هو . . لا أدرى ماذا أسميه ، أو كيف أصفه ، فقل أنت فيه ما تشاء !

وثان لا يلاعبك إلا برهان ، وهذا ضرب من القمار لا أطيقه ، وقد حاول كثيرون من إخوانى أن يعلمونى لعب الورق فأخفقوا — أو أخفقت أنا على الأصح — وماذا عندى مما يمكن أن أقامر به غير حياتى ؟ وأقول لصاحبى « هذا قمار فالعب بغير رهان » فيقول : « قمار ؟ استغفر الله . هذه تسلية . زيادة تصلح بها روح اللعب ، فيصبح أحمى وأمتع فأصر وأقول « كلا . اذا أردت اللعب فليكن بغير رهان » فلا ينهزم ويقول « قرش واحد ! » فأقول : « ولا مليم » فيهز رأسه آسفاً ويقبل

ونشرع فى اللعب ويتفق أن يؤاتيه الحظ فيضيق علىّ الخناق ويعظم أمله فى النصر فيميل على الطاولة ويقول « مارأيك ؟ . هذا الدور لى أم لك ؟ » فأدير عينى فى مواضع الحجارة فلا أرى داعياً لليأس فأقول « إنى أرجو أن يكون الدور لى » فيقول « حسن .. تراهن ؟ » فأقول محتجاً « رجعنا ؟ . لا يا سيدى » فيقول « إذا كنت واثقاً من الفوز ، فماذا يمنعك أن تراهن ؟ » فأقول « لست واثقاً .. ثم إن الأمر عندى مرجعه إلى كراهتى للقمار ، لا للخوف من الخسارة » فيتنهد آسفاً على الفرصة التى أضعتها عليه ببلادتى وجمودى

وثالث لا يترك الأمر للحظ كما هو الواجب فى لعبة كهذه بل « يقرص » كما يقولون — أى يسوى « الزهر » واحداً فوق الآخر ثم يلقيهما برفق وتؤدة لتجىء الأعداد أو الأرقام التى يطلبها ، وهذا شىء لا يليق لأن مؤداه أن ملاعبك قد وثق من الفوز بالغة ما بلغت قدرتك ومهارتك وبراعتك فى اللعب . ولا أدرى أية متعة يستفيدها المرء من « القرص » إلا إذا كانت المتعة هى التنغيص عليك

وأعوذ بالله من لاعب لا يزال يحوجك إلى النهوض عن كرسيك لتبحث عن « الزهر » الذى قذف به لا تدرى أين وتمضى دقائق فى البحث والتحديق — وأنت منحن — تحت الكراسى وبين أرجل الناس الذين لا تعرفهم . وكثيراً ما يتفق أن يكون « الزهر » الضائع فى طية البنطلون . وليس بالنادر

ألا تجده لا أنت ولا صاحبك فتصفق ليجيئك عامل القهوة « بزهر » جديد . وقد يكون العامل سمجاً أو قليل العقل فيروح يبحث أولا ، وتنقضي دقائق أخرى وأنت تتبعه بعينك . ثم يجيء « الزهر » الجديد فيتناوله صاحبك - لأن هذا دوره - ويقلبه في كفيه ويقول « لا . هذا كبير . » أو لا . هذا صغير » فيضيق صدرك وتقول « يا أخي العب . كله زهر » وتستأنفان اللعب فتزهق روحك لأن صاحبك ممن يأبون إلا أن يقدروا كل احتمال ، ويحسبوا كل حساب ، ويحتاطوا لكل أمر ، كأنما صار مصير العالم رهناً بهذه اللعبة ، فينفد صبرك وتقول له « يا أخي العب » فيقول « حلمك يا سيدي . . بقي إن سحبنا هذا « القشاط » ؟ . من يدري؟ . ربما ضربنا وعطلنا . طيب . . وإذا خرجنا فماذا يكون ؟ . والله هذا أحسن . أقول لك . . ننتظر ولا نخرج . . نسد عليه هنا . . لا والله . . الخروج أحسن . . لكن يمكن يساعده الحظ فماذا يكون العمل؟ » وهكذا إلى غير نهاية

وشر من هذا الذي يعقب على كل لعبة منك بالاستحسان أو الاستهجان ولا ينفك يقول لك « كان أولى أن تصنع كيت وكيت » فتقول « ومالك أنت ؟ . أنا المسئول عن لعبي وأنا الذي يخسر لا أنت » فيقول « لا يا سيدي ، المسألة هي أن اللعب مع غير الحاذق لا لذة فيه »

وقد لا يكتفي بالتعليق والتعقيب بل يحاول أن يلعب لك لعبك ، ويردك عما تريد ، أو ماتهم به ، من تنقيل الحجارة على الوجه الذي يبدو لك ، وينقلها هو لك على هواه وأولى بمثل هذا أن يلاعب نفسه ، ولكن لذته هي أن يفرض عليك إرادته ، مدعياً أن هذا هو ما يقضي به الفن ، وأن الغيرة على الفن لا تسمح له بالتساهل ، ويتركك تخلط وتغلط وتخالف الأصول .

وآه لو وقعت مع واحد من المبتدئين لا يزال يعد - ويشير أيضاً - بأصبعه في كل لعبة . . وآه وآه وآه - ثلاث آهات طويلة يمتد بها النفس إلى الليلة التالية - من المغالط الذي يدعي أن الرقم خمسة وأربعة ، على حين رأيته بعينيك ثلاثة وستة . ويزعم أنه جاء بالحجر من هنا وهو قد جاء به من آخر الدنيا ، وتراه « أكل » أربعة ، فتنظر إليه عاتباً فيبتسم ، ولا يتلعثم ، ويرفع بين أصبعيه حجراً ويقول لك « والله ما أكلت إلا واحداً فقط » فلا تستطيع أن تقول له إنه كاذب ويعييك أن تدرك الباعث على هذه السرقة في لعبة يراد بها التسلية وتزجية الوقت ليس إلا .

وأحياناً يحلو لصاحبك أن يمازحك ... ولكن أي مزاح فيتلف لك أعصابك ويطير عقلك ... لأنه يزيغ بصرك بكثرة عبثه « الظريف » . ويا ويلك ممن يغضبه أن يرى نفسه مشفياً على الهزيمة فيعيث بيديه في الحجارة ويفسد نظامها وترتيبها ، ويغلق الطاولة في وجهك ، ثم يوليك ظهره أو جنبه ، ويضع رجلا على رجل - أعني ساقا على ساق - وهو لا يبرطم بما لا يسرك أن تسمع ، وقد ينهض ويتركك بلا كلام أو سلام

ومن بلاء الطاولة أنها تجمع عليك الناس ، ويندر أن يكونوا ممن تعرف ، فتراهم قد التفوا بكما - والبعض جالس والبعض واقف سينظرون ولا يسكتون ليهون احتمالهم ، بل يستجيدون لعبك أو يستضعفونه ، بصوت مسموع ، وقد يراهنون عليكما كأنما أنتما جوادان في ميدان السباق ... ...

فتسمع أحدهم يقول « أنا أحط على هذا (ويشير اليك فما يعرف اسمك) ريالا ... تجي يا ألفريد ؟ »

فتسمع الفريد يقول « يكفي نصف ريال ... »

فيلتفت الأول إلى غيره ويقول « تجي يا جاك ؟ »

فيمط جاك بوزه ويقول : « لا ما يستاهل »

فتعلم أنك لا تساوي مليما في رأي جاك ، وأنك من الجياد التي لا تستحق المخاطرة عليها بمال ولو قل .

ومن المستحيل أن يستطيع أحد أن يصف لعب الطاولة ، وكيف كسب دوراً أو خسره ، ولكن بعضهم يتكلف ذلك ويحاوله ويقول لك كلاما لا يمكن أن تفهم منه شيئا ، أو تعرف له مدلولا . وأمثال هذا ليس من سوى الالحاح في المقاطعة ، واللجاجة في اسكاتهم بما أقول أنا . يبدأ الواحد منهم وصفه الذي لا يصف شيئا فأشعر — سلفا — ان رأسي تحطم فأقول « اسمع . . حدث أمس شيء غريب »

فيقول « وبعد ذلك ضربته وهربت وسددت عليه ... »

فأقاطعه وأقول « كنت راكبا الترام رقم ٧٠ (وليس ثم ترام بهذا الرقم ولكن هذا لا يهم لأن المراد هو أن اتكلم بأى كلام والسلام) فجاءت فتاة صغيرة لا شك انها من تلميذات المدارس فقد كانت تحمل حقيبة . . »

وأسكت لآخذ نفس ، فيغتنم الفرصة ويقول « ثم ياسيدى بدأت الأكل . . أكلت . . أكلت . . . » فأعود الى المقاطعة وأقول « وكان الترام مزدحما فوقفت لها لتجلس فى مكانى . . الأدب واجب ، أليس كذلك »

فيقول « وظللت آكل حتى . . »

فأسرع فأقول « فشكرتنى برقة . الحقيقة انها فتاة مؤدبة . هنا حدث شىء عجيب فقد وقف الترام فى محطة اختيارية من غير أن يطلب ذلك أحد من الركاب ولا من الواقفين على الرصيف »

ويشعر هو أن لا فائدة فى محاولة التغلب على فيضطجع وينظر الى شزرا ويخرج سيجارة ويشعلها ويروح يدخن غير ملتفت الى ، أو عابىء بى ، ولكنى لا أدعه يهملنى مخافة أن يستأنف الوصف الذى قطعته عليه ، فأقول « سامع ؟ . حدث شىء أغرب . سار الترام بسرعة ومررنا بمحطات كثيرة لم نقف عليها لا بل وقعنا فيها كلها وأخيراً وصلنا إلى الموسكى . . أعنى المغربلين . . بعد ربع ساعة من قيامنا . . أليس هذا جميلا ؟ . ما قولك ؟ . ألا تقول شيئا ؟

فيقول « شىء بديع جداً »

فاقول « أشكرك . . ليلتك سعيدة »

فيقول وهو معبس « سعيدة »

وأنهض منصرفا وقد نجوت من الوصف .

كلا . لن ألاعب أحداً الطاولة . واذا شاء إخوانى أن القاهم فليكن ذلك فى مكان لا طاولة فيه

ابراهيم عبد القادر المازنى

فى التاريخ السياسى

مصر والامتيازات الأجنبية

كيف الغيت الامتيازات فى مونترو

بعد أربعة قرون على قيامها

لباحث دبلوماسى كبير

انتهت المفاوضات التى تجرى بين الحكومة المصرية وبين الدول منذ الثانى عشر من شهر ابريل فى مونترو - فى مسالة إلغاء الامتيازات الأجنبية بعقد اتفاق جديد بين مصر والدول حققت فيه مصر أمنيتها الكبرى ، وهى إلغاء الامتيازات الأجنبية .

والامتيازات الأجنبية التى وقفت مصر إلى إلغائها فى مونترو هى من تراث الدولة العثمانية الذاهبة ، وترجع إلى أوائل القرن السادس عشر ، حينما بدأ السلطان سليمان بعقد معاهدة مع فرانسو الأول ملك فرنسا ، منحت فيها للرعايا الفرنسيين الذين يقيمون فى أراضى الدولة حقوقاً ومزايا خاصة ؛ واستطاعت معظم الدول الأوربية بعد ذلك أن تحصل تباعا من سلاطين تركيا على منح مماثلة لرعاياها ؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كانت هذه الامتيازات التى اتخذ منحها فى البداية صورة التفضل والمنحة الاختيارية قد غدت بالنسبة للأجانب حقوقاً مكتسبة تغل سلطة الباب العالى نحو الأجانب فى كثير من الشؤون المالية والقضائية

ولما كانت مصر بحكم خضوعها للدولة العثمانية فى تلك العصور تخضع لنظام الامتيازات الأجنبية الذى كان فى جميع الأراضى التابعة للدولة ، فقد بقى هذا النظام سارياً فيها حتى بعد أن حصلت على استقلالها فى عصر محمد على ، ولم تستطع أن تتحرر منه بعد أن رسخت جذوره على كر العصور وغدا معقلا لرعايا الدول الممتازة يحتمون به ، ويتمتعون فى ظله بكثير من الحقوق وضروب الاعفاء القضائية والمالية

وكانت الدول تعمل تباعا على توسيع هذه الحقوق والامتيازات حتى غدت فى النهاية عبئاً ثقيلا على كاهل مصر